من سير أعلام الشهداء

٣١

[حصاد الأجور وباكورة الخير]

[حصاد الأجور وباكورة الخير]

قال صلى الله عليه وسلم ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء)) الحديث،

والكلام عن حصاد الأُجور كلام عن الجبال شموخا وعن التوحيد صفاءاً، وعن السبق طريقاً، وعن التضحية شعارا، وعن الغربة دينا وعن الأخوة رابطة، وعلى الجملة، عن الجنة هدفاً والنبي قائداً والله رباً، والإسلام ديناً، فمن هم؟.

هم وفد الخير الأول وباكورة الثمر الأوحد، هم رهط الله إلى الجهاد، وقوّاد الدين إلى العزة، ومعلمو العراق الخير، أو سواق الخير إليه، هم سر جهادنا، وفخر رجالنا، وطليعة أمتنا، وأشرف من مشى فينا، و لم يأت بعدهم مثلهم ((والسابقون السابقون أولئك المقربون)) هم ((أبو تراب، أبو فريدة، أبوحفص، أبو طارق)) أول وفود الإستشهاديين إلى العراق، وحقا كانوا أوائل في كل شيء.

جاءوا من أرض الكنانة من مصر الحبيبة الأسيرة، من مركز محافظة الشرقية مدينة الزقازيق، حي الجهاد.

[أبو تراب]

جليس لا يمل، أنيس لا يضجر، وجهه قطعة من القمر، إذا رأيته ذكرك بالله، القران أنيسه، والملائكة جليسه، عابد، زاهد، قارىء، موحد، مؤدب، أدبه ربه، وصقلته عقيدته، وهو أمير المجموعة وكوكبها الدري الذي مازال نجمه يلمع، فمثله لا يخفت، وهو مؤدبها ومربيها وسائقها إلى الخير.

هو أول المقدمين فيها بل في العراق، هو أول إستشهادي في العراق، مهندس بترول، متزوج وله طفلان، يحب زوجته وأولاده كما نحب، يعشق أرضه وداره كما نعشق، يحلم بالجاه كما نحلم وهو لها أهل، لكن أخي جعل الدنيا تحت قدمه ومضى، نادته فما التفت، وتوسلت فما لان ولا حن،

شدته وجذبته فما قدرت، وأخيرا جلست تولول ومضى يضحك ويجري. توقف مـــع رهطـــه في الأنبار بالرمادي وانخرط الجميع في عمل دؤوب يتزودون ليوم قريب يـــوم يعرضـــون علـــى رب العالمين.

بكى أبو تراب وبكى وأثّر البكاء على وجنتيه وانتحب خلفه أصحابه في الثلث الأخير من الليل بـــل والأول، فقد كان الحبيب حافظا متقنا لكتاب الله. خرجت الآيات منه، كأنها لتوها نزلـــت مـــن السماء غضة طرية وكأنها فيهم ولهم نزلت، وهي كذلك، شعروا أنهم هم المخاطبون بها دون الناس وأن التكاليف حملت على عاتقهم فتحملو الأمانه ومضوا.

وتقدم الأمير والأسد أبو تراب ليضع أول لبنة في البناء راجيا من الله التوفيق والسداد وأن يكون قد أصاب الموضع وأحسن المكان، راجياً أن يأت بعده من يكمل البنيان.

وكانت أول عملية على وكر من أوكار الفساد والإفساد والعمالة والخيانة، على وفد من وفود الشر ووكر من أوكار الردة. ولما إستقر عند الشهيد أن عقوبة المرتد أغلظ من عقوبة الكـــافر الأصـــلي، علم أن الواجب تقديمهم على غيرهم وخاصة إذا كانو للكفار عيوناً وله خدم وأعوان ولأجله جاءوا ولمجده شمروا، كما هو حال السفارة الأردينة. فتم مراقبة الهدف وكانت تقع بالقرب من ساحة (يوم اللقاء) وإلى جوارها وفد المجرم شين العابدين حاكم تونس. وعُلِمَ أن النكاية الأكـــبر في الســـفارة الأردنية تكون من الخلف حيث الطريق إليها سالك والهدف من الخلف أسهل والعيون غائبة.

لكن عين الرقيب كانت معنا، حيث أنه يوجد على حافتي المدخل الخلفي بيوت للسنة، والكميـــة كانت كبيرة (أي كمية المتفجرات) والشارع ضيق، فقرر الأخوة أن يكون هجوم البطل من الأمام حيث لا بيوت تتأذى من الأنفجار، اللهم إلا سفارات الشر وأركان الخيانة وهو المطلوب.

وفي تلك الليلة وكما هي عادته قام الشهيد يصلي ويدعو ويتضرع إلى الله.

قال الشيخ أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله: بت معه تلك الليلة أشد أزره وأرفع همته أذكره، فإذا به يرفع همة أُمة، ويذكر من لا يتذكر بإقباله على الله وحسن الظن به يقول: كـــان المصـــباح مطفئـــا وأقسم أبو مصعب أنه رأى النور يشع من وجه كأنه البدر في الليلـــة المظلمـــة يقـــول: (فانتـــابتني قشعريرة وشفقة على الرجل ووالله لولا الدين ما تركته قط ولقد هممت).

وأصبح الصبح وركب الحبيب سيارته ومضى يمخرها نحو عز أمته راجيا أن يحقق الهدف ويجرأ إخوانه على عدو ماكر جبان، وبالفعل دمر الله السفارة الأردنية فقتل وجرح وأرعب أعداء الله، وجاء الشهداء بعده كالسيل الجارف يأخذ في طريقه كل خبيث وينبت حوله الزرع ويروي عطش أمة إلى الجهاد والعزة أسال الله أن يجمعنا بالحبيب ولا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده وأن نلتقي في جنات عدن عند مليك مقتدر.

[أبو فريدة]

أخو يوسف وشبيه الأنبياء والمرسلين، وسيد الصفوة من الصالحين، وبقية السلف من الأخيار الطاهرين. شاب في مستهل عمر الربيع، فارع الطول، أبيض الوجه والقلب، ومن أحسن ما ترى جمالا وبهاءاً.

كان بطل مصر في احد اللعبات الرياضية، فتحت إليه الشهرة ذراعيها وبين أحضانها جهنم الحمراء، لكن المسكين رآها جنان خضراء أماني ومنون وأحلام تطير به في مجال رحب مال وإعلام وتوقيعات و.... وأسرع بتوقيع عقد إحتراف في إيطاليا.

نعم رأس النصرانية إيطاليا، جاء إلى أمه يزف إليها خبره السار وأمله العريض، يريد أن يطير في الهواء ليعلم الدنيا أنه سيكون نجمها اللامع بعد فترة وجيزة، أماه سأحترف في إيطاليا. لم تصدق الأم ما سمعت، تسمرت قدماها في الأرض، علت وجها كآبة واسودت الدنيا في عينها، رأت إبنها في الحال بين احضان العاهرات، وربما على صدره صليباً كبيراً ككبر أحلام ذلك الطائش، ذرفت دمعة الحسرة من مقلتيها، قالت: ولدي أرجوك لا تذهب أرجوك، أرجوك.

لكن رجاء ست الحبايب ذهب سدى فأصر الابن على السفر، وسافر إلى دولة الكفر. وسافرت الأم الى بلاد الحرمين ذهبت إلى الحج وهناك بكت وذرفت الدموع رجاء أن يرد الرحيم الغفور ولدها من تلك الديار.

وفي تلك الأثناء حط صاحبي رحاله حيث أراد فوجد السيارة الفارهة في إنتظاره والبيـــت الواســع والمؤسس على أحدث ما ابتكرته يد الفنان الإيطالي والمعروف أصلا بذاك وما هي إلا أيام قليلة حتى بدأت الشهرة تدب في أوصاله وصار إسمه يلمع يوما بعد يوم، وجاءته الفتيات الجميلات، كل تريد أن تحظى بشرف توقيع لطيف أو عبارة بسيطة على دفتر صغير في حقيبة تحوى مع ذلك االكثير من الإثارة.

ومن بين الكثير من الفاتنات المعجبات، وقعت عينه على واحدة ملئت قلبه شغفا وحبــا وملكــت بجمالها فؤاده، و لم يعد من أسرها يستطيع فكاكا وبدأت هي تحوطه بسيل من الكلمــات يــذوب أمامها الصخر الأصم.

وفي لحظة من لحظات العشق الجارف، أدرك الرجل أصله ومنبته الطيب، ما امتنعت منه فهذا دينهم لأن المرأة عندهم تسلم نفسها لمن تحب مادام عليها قاصراً، وهذا غاية الشـــرف عنـــدهم ولكـــن صاحبنا قال لها: أريد الزواج أريد الحلال منك، فأنا مسلم وليس لي طريق إليك إلا النكاح.

أحمر وجه المرأة ورجعت القهقري، ثم ضحكت ضحكة تخلع القلب من مكانه وأردفـــت قائلـــة: عزيزي مثلك لا يرد فإنك من أجمل الناس صورة وشهرة مع البيت والمركب ولكن هنـــاك شـــيء واحد فقط بسيط يعوق دون زواجنا قال متلهفا متعجبا: ما هو؟ قالت: إنك مسلم، لـــو تتنصـــر أتزوجك، هنا بهت الصالح وانتابه غضب كثورة البركان قائلاً يا حقيرة الآن والآن فقط كنت علـــى استعداد أن تفعلي معي ما أشاء في الحرام ولأني أريد الزواج خشيت أن تعيري بزواجك من مسلم، وأردف قائلاً: حقيرة، حقيرة، ثم فتح باب بيته مسرعا ثم أخذ بيدها ورمى بها خارج مترله، قـــائلاً: ديني أغلى وأعز وأعظم منكم جميعا يا كلاب.

و لم ينتظر الصالح أن ينهي عقده أو يرتب أموره من بقايا أموال وتصفية حسابات، بل حزم أمتعتـــه وركب أول طائرة متوجهه إلى دياره، نادماً على اللحظة التي عصى فيها أمه، شاكراً حامـــداً رب البرية على العصمة من الفتنة.

ولست في حاجة أن أذكرك يا أخي القارىء أن حبيبنا عصمه الله من حيث وقع الكثير الكثير مـــن العباد والزهاد ولكن الله لا ينظر إلى صورنا بل إلى قلوبنا ويعلم بعلمه التقي النقي مـــن الكـــذاب

الأشر، نسأل الله حسن الخاتمة ونعوذ بالله من الفتن. رجع الحبيب إلى أمه راجياً منها الصفح والعفو مقبلاً قدماها قبل يديها فهي ست الحبايب، وحمدت الأم الصالحة وشكرت ربها علـــى اســـتجابة دعائها وسعت فزوجت ولدها من إمرأة صالحة، ورزق منها بفريدة بنية كأنها الشـــمس في كبـــد السماء.

لم يطل والدها المقام عندها، بل حزم حقائبه ومضى وفي هذه المرة مضى الى وجهة معاكسة تمامـــاً مضى إلى الله وحث الخطى، والتسبيح والإستغفار زاده، وخدمة الأخوان والذلة والتواضع لهم سمتـــه وشعاره.

وجاء مع أبي تراب مع ركب الفضيلة يتسابقون إلى الله، فلما طلب الإخوة إستشـــهادياً للســـفارة الأردنية، قفز هو يترجى إخوانه أن يكون أولهم فهو لا يستطيع أن يفقد أحدا منهم قبله، كما أنـــه ادعى أنه صاحب ذنب يريد أن يتوب منه، وما درى أن ذنبه هو سر رفعته وشموخه فما زال الخوف من الله على أنه عصا أمه يوما يهز أركانه.

لكن أبا تراب، إستسمح إخوانه، قال رجائى أن تدعوني فإني لست رياضي مثلكم ولا أستطيع مـــا تستطيعون فرجائي إتركوني وتوسل إليهم فتركوه.

وجاء دور أبي فريدة، هدف ما زال الكفر يبكي دماً من يومه ومازال الصليب في حسرة على فقـــد كبار مجرميه في تلك الأرض الملعونة، على حد قولهم.

وكان هذه المرة ومن تدبير الله العجيب هدفا صليبيا، ليرد الصاع صاعين - كان عـــدو الله المجـــرم المسؤول عن إقتطاع جزء من بلاد مسلمة هي إندونيسيا حيث كان عدو الله هو مســـؤول الأمـــم المتحدة الذي ضغط لاجل فصل تيمور الشرقية وتحويلها دويلة نصرانية، ثم هو الذي انهـــى مســـألة كوسوفا على هذا النحو المخزي، وهو مع كل هذا المندوب السامي لحقـــوق الإنســـان في الأمـــم المتحدة، وهذا المجرم هو سيرجيو ديملو وقد تم استعارته فترة ستة أشهر فقط حتى ينهي مسئلة العراق ثم يعود بعدها لعمله في حقوق الإنسان.

فتم رصد مبنى الأمم المتحدة وتحديد طريقة الدخول إليه وأختيار التوقيت المناســـب، فكـــان هـــذا التوقيت الساعة الحادية عشر صباحا.

وبالفعل ركب أبو فريدة شاحنته وتوجه إلى هدفه، وفي الطريق تعطلت به، وبدا الحاج ثامر ومـــن معه يحاولون إصلاح الخلل وبالفعل تم لهم ما أرادو لكن الساعة إقتربت من الثانية، فتشاوروا بينهم، هل نرجع أو نمضي على بركة الله، فقرر أبوفريدة المضي وعدم الرجوع قائلا: إن الله هو الـــرزاق: قالو له لكن الأن العمل إنتهى بالمبنى ولاأحد فيه إلا قليل، قال الله يرزقني ولن أرجع.

وفي تلك الأثناء وصل الخبر الى الشيخ أبي مصعب بالتأخير فأمر بالرجوع ولما عاد الرسول الى موقع الشاحنة بالخبر وجد أبوفريدة قد توجه إلى هدفه ووصل إلى مبنى الشرك والـــردة ومحـــل الخيانـــة والعمالة ومن يصبغ الشرعيه الدولية على الإحتلال وعملائه، واقتحم المـــبنى بشـــاحنته، وكانـــت المفاجأة التي هزت العالم، ديملو تحت الأنقاض، ونائب الأمين العام للأمم المتحدة الســـيدة: ناديـــة يونس، وعدد كبير من جنرالات الحرب في إجتماع ووقعوا في تخبط شديد، إختراق كـــبي، عمالـــة داخلية، اعتقلوا كل عراقي يعمل بالمبنى وحققوا معهم، لكن لا أحد يدرى أن مدبر الأمر هـــو رب البرية الذي يعلم السر وأخفى وأن أبا فريدة كان صاحب سر مع مولاه فرزقه من فضـــله الكـــريم ورفع قدره في أعلى عليين نحسبه كذلك، والله أسأل أن يجمعنا به في جنات صـــدق عنـــد مليـــك مقتدر -أمين -

[أبــو حفـص و أبــو طـارق]

والآن نصل إلى هذين الأسدين اللذين فقدا حبيبيهما، ومضى كل واحد يصبر أخاه ويســـتعد ليـــوم الرحيل، لا تراهما إلا والدمعة ملىء مقلتيهما، لا تستبين لهما قراءة لشدة البكاء، ومع هذا فـــالكرم الشرقاوي سيمة الرجلين، يحدثني أبو عمر وأبو عبد الله أنهما ما زاراهما يوما، إلا وتركا عبادتهمـــا ومضيا يحتفيان بالضيوف وكأنهما ما رأوهما منذ عهد بعيد، لا يوم بعد يوم – تكون الزيارة.

وجهز أبو عبد الله الرجلين بسلاح وعتاد كاف لفتح جبهة إذا ما أضطرا إلى ذلك، لأنهما في ذلـــك الوقت كانا يقطنان - مدينة الرمادي–، حيث ملأ آل (بو علي سليمان) الدنيا رذيلة وتجسس.

وسار على دربهم كل من باع دينه بعرض من الدنيا قليل، وفي يوم زارهما الحاج ثامر – رحمه الله – فهمسا في أذنه أنا نشعر أن الوضع في البيت يعني حوله صار خطراً، فبشرهما الرجل أنه يعلم ذلــك أو يشعر بذلك وغداً أنقلكم بإذن الله إلى بيت أستأجر جديدا.

وفي اليوم التالي جاء ومعه آخر لنقلهما فوجدا المنطقه مطوقة بالأمريكان وماهو إلا قليل حتى سمعــا إشتباك عنيف فانتاهما وجل شديد أن يكون الإشتباك مع أخويهما – وقد كــان – دار إشــتباك عنيف إستمر أكثر من أربع ساعات، لقي الأخوان بعدها ما أمّلاه من رب العالمين، لحقا بالأحبة في موقف شرف وعز وإباء أن يسلما نفسيهما لكافر حقود، وفي اليوم التالي إتصل أبو عبدالله بزوجــة الشهيد أبي حفص وكانت كنيته الحقيقة على إسم أبنه (عمر) وبعدما عرف أنها زوجته بشــرها أن زوجها الأن مع النبيين والصدقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا. وكانت ومازالت المرأة صــاحبة عقل فسكتت المرأة زمنا سمع فيه البكاء، ثم أمسكت بالسماعة وقالت للمتصل متى تم ذلك قال يوم كذا قالت (اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها)، ثم قالت عذرا يا أخي ممكن تخبر أمــه لأني لا أستطيع أخبارها وبالفعل أتصل الرجل على أمه والتي سقطت سماعة التليفون من يــدها و لم تتكلم بعد، ولا يدري أبو عبدالله ما حل بالأم والتي يبدوا أنها كانت تموت حبا في ولدها، الله يجعله لها ذخرا في الآخرة وأن يرحمها به وأن يلحقنا بهم جميعا في جنات عدن – أمين -.

[الــشيـخ المجـا هـد]

هو الشيخ المجرب، والأسد المحنك، والأب الحنون، والصديق الرفيق، والسهل الهين المتواضع، ((أبــو حمزة الشامي)).

من مدينة حلب، هاجر أبوه من تركيا إبان الأضطهاد الديني أيام الهالك ((كمال أتاتورك))، ولــذا كان يتقن التركية لغة أبيه، ذاك الجبل الذي غرس في نفس إبنه – كما حدثني هو – حــب الــدين وأهله وقيم الإباء والشموخ وأهم شيء عشقه السلاح والقنص.

حدثني أن أباه لما بلغ به الكبر عتيا أراد أبناؤه أن يروِّحوا عنه بعض الشيء فأخذوه في نزهة صيد لما يعلموا عنه من سابق عهده بهذا الأمر، فلما رأى الشباب يتبارون أمام الهدف قال لأحدهم أعطـــني بندقيتك، فضحك الشاب من الشيخ، وحتى إبنه ما أحسن الظن بأبيه فظنه قد نسي ما شاخ عليـــه، وكان أمام الشيخ علبة معدنية فقال لإبنه ألقها في الهواء، وإذا بالشيخ وكأنه عاد إبن العشرين ربيعا يسدد بخفة ورشاقة على العلبة ليصيب كبدها ويسلم البندقية لولده تاركاً الجميع في صمت مطبـــق ودهشة لما رأوا، فعند هذا الوالد وبين يديه نشأ شيخنا وعلى يديه تدرب على السلاح بكافة أصنافه وخاصة الخفيف منه، والذي ما خلا قط من بيتهم وعلى حد تعبير أبي حمزة حتى في أحلك المحن أيام أحداث حماه وحلب، تلك الأحداث الأليمة والتي شاء طواغيت العرب أن يسكبوا عليها النســيان، نسيان الحقد الباطني العلوي ضد السنة، نسيان الذل والمهانة وفقد الأهل والولد.

هذا ومازال أبطال القصة يعيشون بيننا أمثال أبي حمزة وغيرهم في سجون الطاغية المتجــبر الهالـــك (حافظ النعجة) ومن بعده عدو الله إبنه ((بشار)).

وعلى ذكر الأخوة في سجون الطاغية الباطني العلوي أجد من الأمانة أن أذكر قصة حدثت مع أخي أبي محمد المصري شهيد عين الحلوة ومع أخي أبي صالح الأسير فك الله أسره. وخلاصة الأمر أنه لما سجن الأخوين ومعهما مجموعة من الأخوة في قضية تتعلق بعمل جهادي ضد قطعان اليهود بالأردن أدخلوا أبا صالح خطأ على مجموعة من الأشباح، في مكان ما هو إلا جهنم الحمراء، أو بيوت الجـــن أو حاويات القمامة أو فتحات المجاري، المهم مكان ما وجد فيه أشباه بشر وأناس يجلسون القرفصاء ليس عليهم إلا ما يستر سوءتهم، شعور طويلة جدا، وأظافر كأنها مخالب وحش، ورائحـــة الجيـــف تفوح من كل شيء، وصمت مطبق، ورجل بسلاح وبيده سوط يجلس أمامهم لكنه بعيـــد عنـــهم وحتى لا يتأذى بالرائحة وأدخلوا صاحبي على هذا المكان.

قال: فلما رأيتهم سقط فؤادي في قدمي وشعرت بخوف خلع أطرافي من مكانها وأجلسوني بجانـــب أحدهم.

فاسترقت الطرف وحاولت أن أكلم أحدهم، فما من مجيب وحاولت أخرى فما من مجيب، اللـــهم إلا دموع تحجرت تماما كتحجر أطرافهم، كل شيء ساكن صامت.

وبعد عدة ساعات نادوا عليه وأخرجوه وفهم بعدها أنه دخل بالخطأ وأن ما رآه ليس منظـــراً مـــن أهوال يوم القيامة، وأنه حقا لم يكن بغيبوبة أو كابوس مؤلم مزعج ولكن ما رآه أخوة له، يوما مـــا من الدهر منذ أكثر من عشرين سنة قالوا (لا إله إلا الله) في حماه وغيرها ومن ساعتها إلى يومنا هذا وهم في وضعهم الذي رآه لا كلام لا شيء لا شمس لا لا لا........ .

والثانية أن أخي أبا محمد حدثني قال لما دخلت السجن كنت مازلت غبياً وحقا أحمقاً جاهلاً، قـــال أذن الفجر، فانتظرت حتى كادت الشمس أن تخرج فطرقت الباب، وأخذ صاحبي نفسا طـــويلا أي شهقة مؤلمة قائلاً لا أدري أطرقت باب السجن أم باب الجحيم، وعلى الفور جاءت كلابهم من كل حدب وصوب يتعجبون من ذاك الكائن الغريب والمخلوق الفريد الذي إستطاع أن يطـــرق بـــاب السجن دون أن يفتح له وقبل ميعاده، قالوا له مالك وقبل أن يعطوه الجزاء، قال المســـكين: صـــلاة الفجر، فضحكوا وضحكوا ثم أمسك به جبارهم العنيد ورفع صوته النشاز قائلا له وعذراً ((يا إبن الكلب صلاة الفجر آيه إحنا كفار كفار فاهم يعني إيه إحنا كفار)) طبعا بلهجتهم العامية. ثم أخـــذ عدو الله يضرب أخي الشهيد رحمه الله على أذنه حتى سال الدم غزيرا منها ومن كثير من جسمه ثم تركوه جثة هامدة وانصرفوا يضحكون. هذا هو نظام البعث وإلى يومنا هذا وحتى لا يظـــن أحـــد خيرا بعدو الله بشار فهو طاغية بن طاغية.

وعودة إلى شيخنا أبي حمزة فقد ساقني ذكر أنه شارك في أحداث حماة مأساة إخوانه وإلى يومنا هذا في سجون الطواغيت. وأبو حمزة نفسه خبر هذا العذاب لكن في قضية بسيطة جدا مكث عليهـــا في سجونهم حينا من الدهر.

وكنت أجلس في أثناء حربنا في الفلوجة الثانية مع الشيخ وأطلب منه أن يحدثني عن الأحـــداث في حلب وحماة والحمد لله سردها لي من أولها إلى قبل نهايتها ثم في الأخير قال لي: قرأت كتاب التجربة السورية لأبي مصعب السوري، قلت تقريباً نعم الطبعة القديمة المختصرة قرأتهـــا والجديـــدة لـــيس جميعها، قال: عموماً الرجل أنصف في هذا الكتاب، وخير من كتب في هذا الموضوع، وهذه شهادة شاهد على عصر الكتاب.

ولما جاءت دولة الطالبان هاجر شيخنا إليها بحيل وحيل حيث أنه ممنوع من السفر، وهناك قاتل إلى جوار إخوانه كلا من التحالف الشمالي والشيعة الملاعين في باميان وغيرها. وهو الشـــيخ الكـــبير، فسكب بعطفه الحنان على الشباب فأحبوه وأحبوه، ورأوا فيه الأب والأخ الكبير والصديق الـــوفي، ولما انهارت دولة الإسلام على أيد الخونة الباكستان لا على أيد الأمريكان فحسب، رفـــض وهـــو العاشق للجهاد وأهله العودة الى سوريا ولو بجواز سفر مزور كما عرض عليه أحد أقاربه، بل رحل شيخنا إلى ساحة أخرى من ساحات الجهاد، ذهب إلى منطقة شمال العراق ((كردستان)) يقاتـــل عدو الله الطالباني وحزبه الإلحادي المجرم، وأستمر معهم حتى دخول الأمريكان.

ومن ثم عاود جهاد الأمريكان ولكن في الفلوجة والتي بها تعرفت على شيخنا فرأيت شيخاً عجيبـــاً، لا يكل عن العمل، لا في حر الشمس ولا تحت وابل القصف.
فاقتربت منه أكثر فإذا به عسكري عبقري محنك، فعجبت كيف أمثالي يكون لهم رأي في الحـــرب وهذا الكتر ليس فيها، فتم إلحاقه بمجلس الشورى العسكري وهو مجلس عسكري مشكل لإعطـــاء النصائح والتوجيهات اللازمة لإدارة أزمة الفلوجة عسكريا.

وكان شيخنا صفته الصمت إلا إذا سئل، فإذا تكلم تقطرت خبرته من بين ثناياه، وعلمت حقـــا أن الرجل يعشق البارود طيبا. ثم دارت رحى الحرب في الفلوجة الثانية، وكـــان نصـــيب شـــيخنا إلى جواري مع زمرة من الأشاوس في حي نزال، وهناك كان عاشق القناصة لا يفارق محبوبتـــه، فهـــي دراغانوف روسي منظارها مصفر جيدا، يتنقل بها من سطح إلى آخر لعله يصـــطاد جرذونـــا مـــن الأمريكان.

ثم اشتدّت رحا الحرب أكثر وأكثر وتم اقتحام نزال من قبل العدو وأيضا انحزت مع أبي حمزة وعلى الرغم أن الرجل كان في الخامسة والخمسين من العمر إلا أنه كان يقفز من فوق الجدران من ســـور

إلى سور ورأيت رشاقته وخفته، قلت صدق القائل ((جوارح حفظناهـــا في الصـــغر فحفظتنـــا في الكبر)).

وإليك يا أخي لقطة واحدة من لقطات العز والجهاد مع شيخنا.
فقد انحاز هو ومجموعة من الأخوة إلى أحد البيوت على حسب الخطة المرســومة لـــذلك وكـــانوا بالطابق الثاني، وأتفق هو وأبو جعفر على أمر أنه إذا دخل الأمريكان يفتشوا البيت لا يرمـــي كـــل الأخوة لسببان:

١ - حتى لا تستهلك كمية كبيرة من الذخيرة في غير موضعها المناسب.
٢ - وحتى لا يرمي الأخوة بعضهم البعض وخاصة إذا تقدم المجاهدون نحو العدو.

ولم ينتهوا بعد من كلامهم، حتى جاء الأمريكان إلى هذا البيت وصعد جندي إلى الطابق العلـــوي لتفتيشه يتبعه قطعان من الجرذان فما إن رأى أبو حمزة عدو الله حتى أمطره بوابل سقط إثرها أمامـــه كأنه عذرة سقطت في بئر.
ثم تقدم هو وأبو جعفر وأمطروا قطيع الجرذان خلفه بوابل من الرصاص ففروا بجراحهم، ولكن عدو الله المقتول بقي عند الأخوة.

غنم أبو حمزة والأخوة سلاحه وجعبته لكن الشيخ آثر أبا جعفر بالسلاح ومضت المعركة في هـــذا اليوم حامية حامية من بيت إلى بيت حتى علا شيخنا أبو حمزة سطح أحد البيوت ليعبر منه إلى بيت آخر وإذا بقناص أمريكي يحتل سطح بيت مجاور أعلى منه فقتل شيخنا في الحال.

فحزن الجميع لفقده فقد كان أبو حمزة وكان، لكن الظرف والوقت لا مجال فيه للبكاء ولا الأحزان فالحرب تطحن الشباب طحنا، ومضى الشباب تاركين خلفهم شيخنا أبا حمزة والغصة في حلـــوقهم

لكن هذا كان هين إذ قورن بما الذي نكت في قلبي حرقة وحسرة وإلى يومنا هذا وأكيد ستموت معي وحتى أحاجج أمتي بعلمائها يوم القيامة.

فقد إستقر بنا الحال في بيت آخر مع مجموعة من أفاضل الأخوة وأرسلنا المجاهد أبا الزبير الليبي إلى جثة أبي حمزة ليحاول دفنها لكن الرجل وبشق الأنفس إستطاع فقط أن يتأكد من وفاة الشيخ ويأتينا ببعض أغراضه الشخصية التي كانت في جيبيه. على أمل أن نعود إليه مرة أخرى ريثما تتحسن الأحوال، لكنها ساءت فقد جاء القناصة إلى رأس الفرع الذي يفصل بين بيتينا، ليس ذالك فحسب بل دبابة على رأس الفرع أيضا فما استطعنا إليه سبيلا.
ومضت الأيام وبدأ اليهود بجمع الجثث فرموا بجثة أبي حمزة من أعلى إلى أسفل ثم تركوه عدة أيام في الشارع ونحن ننظر إليه لا نستطيع أن نوارى أخانا تأكلنا الحسرة ويقطع أكبادنا الألم ونبكي على ما آلت إليه الأحوال بخذلان الأمة.

وكتبه:

أبو اسماعيل المهاجر